الاتِّسَاقُ الصَّوْتِيُّ فِي السُّوَرِ القُرآنيَّةِ المُسْتَهَلَّةِ بأُسْلوبَيِ الشَّرطِ أو القَسَمِ (التَّوازِي المَقْطَعِيُّ أُنْموذَجاً)

أ.م.د. صاحب منشد عباس الزياري

جامعة المثنى - كلية التربية الأساسية

فحوى البحث

أكَّد بعض علماء النص أنَّ لوسائل الاتساق الصوتي أهميَّةً بالغةً في بناء النص وترابط أجزائه، فقد أشار ديبوجراند ودريسلر إلى الأثر الذي تحدثه ظواهر الوزن والقافية والتنغيم في تماسك النصوص، وعلى ذلك سار أغلبُ الباحثين العرب، حتى تنبَّه بعضهم مؤخراً إلى أنَّ ما جاء في كتب البلاغة العربية عن السَّجْع، والجناس، واللزوم، وغيرها، يمكن دراسته في علم النص تحت مصطلح الاتساق الصوتي.

وهنالك وسيلة أخرى يمكننا إضافتها إلى هذه الوسائل، ألا وهي وسيلة (التوازي المقطعي)، فتوازي مقاطع لفظتين أو جملتين أو أكثر نوعاً وعدداً وترتيباً يُنشئُ علاقةً صوتيةً بين هذه الجمل، فما أن يسمع المتلقي إيقاع الجملة الثانية حتَّى يعود أدراجه إلى إيقاع الجملة الأولى المختزن في ذاكرته، ووحدة الإيقاع هذه تفضي إلى اتساق النص واستمراريته ووحدة معناه، وهذا ما سيلحظُ في قابل السطور على بعض الأمثلة التطبيقية من السور الكريمة عيِّنة البحث.

مفهوم المقطع:

تُدْرَسُ الأصواتُ اللغويةُ -بشكل عامٍّ -بمنهجين مختلفين متكاملين: الأوَّل، علـــم الأصوات اللغوية (الفوناتكس)، والثاني علم التشكيل الصوتي (الفونولوجي). وهذا الأخير هو ما يهمُّنا؛ لأنَّ المقاطع الصوتية تُبحثُ ضمنه[١]، فهو يدرسُ الأصواتَ بوصفها وحدات في أنساق كلامية، رابطاً بينها وبين طرق تشكيلها ووظائفها[٢]، وتكونُ دراستُها في هذا الاتجاه مركبةً بعضها مع البعض، كما ينطقُ بها المتكلمون. ومن نطق المتكلمين بها مجتمعة تَنْتُجُ المقاطعُ الصوتيةُ؛ لأنَّ المتكلمين في لغة ما ((لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها، أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا، وإنما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي المقاطع، ولذا يقال إنَّه في المقطع يخرج الفونيم إلى الحياة))[٣].

وقد اختلفت وجهات نظر العلماء وآراؤهم في تعريف المقطع الصوتي باختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم في البحث، فثمة اتجاه يعرف المقطع أكوستيكياً، واتجاه آخر يعرفه نطقياً مادياً، واتجاه ثالث يعرفه وظيفياً فونولوجياً، لذلك قيل ((إنَّ تعريفَ المقطع أمرٌ عسيرٌ))[٤]، إلّا أنَّ البحث غيرُ معنيٍّ بهذا الاختلاف بقدر عنايته ببيان ماهيَّة المقطع وأنواعه بشيء من الإيجاز، وبيان أثره في اتساق النصوص. لذلك، ودرءاً للإطالة والتشتُّت، سيوردُ الباحثُ تعريفين يمكن أن يطلق عليهما معاً عبارة تعريف جامع مانع)؛ لأنَّهما يمثلان الاتجاهاتِ كلَّها[٥]: الأوَّل تعريف

(١) ينظر: مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور: ١٥٤.

(٢) يُنظر: علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، د. عصام نور الدين: ٢٣ -٢٤، والعربية وعلم اللغة الحديث، د. محمد محمد داود: ١٠٢ -١٠٣.

(٣) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ٢٨١.

(٤) اللغة، ج. فندريس: ٨٥.

(٥) يُنظر: النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة دراسة وصفية تحليلية، عادل عبد الرحمن عبد الله، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية -غزة، كلية الآداب، ١٤٧٢هـ-٢٠٠٦م: ٢٨

الدكتور حسام سعيد النعيمي، فالمقطع عنده ((وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعاً بصائت، أو حيث تنتهي السلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد))[٦].

أما الثاني فهو تعريف الدكتور غانم قدوري الحمد الذي عرفه قائلاً: ((المقطع: مجموعة أصوات تُنْتَجُ بضغطة صدرية واحدة، تبدأ بصوتٍ جامد يتبعه صوتٌ ذائب[٧] (قصير أو طويل)، وقد يأتي متبوعاً بصوتٍ جامد أو اثنين، ويكون الصوت الذائب في قمة الإسماع بالنسبة إلى الأصوات الأخرى التي يتألف منها المقطع))[٨].

يُفهمُ من هذين التعريفين أنَّ المقطعَ تركيب يتكون من صوتين أو أكثر من السلسلة الكلامية، لا يبدأ إلّا بصامت واحد، وفي هذا مخالفة لما ذهب إليه الدكتور تمام حسان من أنه يمكن أن يبدأ المقطع بصائت، ومثَّلَ له بأداة التعريف (أل) في بداية الكلام، ورمزُ هذا المقطع عنده (ع ص)[٩].

ويفهم منهما أيضاً أنَّ المقطع قد ينتهي بصائت (حركة قصيرة أو طويلة)، وقد يتبعُ هذا الصائتَ صامتٌ واحدٌ أو صامتان، وأنَّ الصامت يمثلُ قاعدةَ المقطع، بينما يكونُ الصائتُ فيه قمَّةَ إسماع.

أنواع المقاطع في العربية:

اختلف علماءُ الصوت اللغوي في تحديدِ أنواع المقاطع في العربية، ومصطلحاتها، وأعدادها بعض الاختلاف، وقد كفانا الدكتور غانم قدوري الحمد مؤونة البحث في ذلك، فجمع آراء أشهر الدارسين مع أسماء

(٦) أبحاث في أصوات العربية، د. حسام سعيد النعيمي: ٨.

(٧) (الذائب والجامد) مصطلحان أطلقهما الدكتور غانم قدوري الحمد، الأوَّل هو ما عُرفَ عند بعض علماء الصوت بـ(المصوتات)، ويشمل حروف المدِّ واللين والحركات الثلاث، والثاني ما عدا المصوتات من الحروف، ويسميها بعضهم (الصوامت)، ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد: ٧٤-٧٥.

(٨) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٠٢.

(٩) ينظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان: ١٤١.

كتبهم وأرقام الصفحات التي ورد فيها ذكر أنواع المقاطع وأعدادها في هذه المؤلفات على شكل جدول، ثم أضاف عليها ما اقترحه هو من أنواع[١٠].

وتجدرُ الإشارة إلى أنَّ الأخذ بأي من هذه التقسيماتِ لا يشكِّلُ عائقاً في البحث، ولا فرقاً في النتائج؛ لأنَّ الخلافَ الجوهري بينَ هذه التقسيمات إنَّما هو في المقطع الأول الذي أضافه الدكتور تمام حسان (ح ص) وإنْ لم يرد في الجدول، والمقطع السادس (ص ح ح ص ص) الذي ذكره بعضهم وأهمله آخرون.

أما ما تبقَّى من الأنواع، فالفرق بينها عند الدارسين كلِّهم في المصطلح فحسب، فمثلاً المقطع (ص ح ص) قد اختلف الدارسون في تسميته، غير أنَّ هذه التسمياتِ لا أثر لها في عدد أصواته وترتيب قاعدتَيْهِ وقمَّتِهِ، فهي واحدة لدى كلِّ الدارسين، وكذلك الأنواع الأخرى؛ لهذا فإنَّ البحثَ سيأخُذُ بتقسيم الدكتور تمام حسان، مع غضِّ النظر عن إضافته للمقطع الأول (ح ص) الذي مثَّل له بـ(ال) التعريف[١١]، فهو يبدأ بحركة قصيرة وينتهي بصامت؛ وهذا لا يصحُّ ((إلّا على إسقاط همزة الوصل، واحتساب الحركة التي تليها فقط))[١٢]، ((وهو ما لا يناسب نطق مجيدي القراءة القرآنية في زماننا، ويناقض ما قرَّره علماء العربية من كون أداة التعريف تتكون من همزة متبوعة بحركة قبل اللام، لكنها همزة وصل تسقط في درج الكلام وتثبت في أوله))[١٣].

أما عن المقطع المتمادِّ الذي أضافه بعضُ الدارسين فهو لم يرد في النصوص المدروسة إلا نادراً، وإن ورد فلقلته لا يمكن أنْ يُحقِّقَ اتساقاً صوتياً في النص.

وسيرمز البحثُ للصامت بالحرف (ص)، وللحركة (قصيرة أو طويلة) بالحرف (ح)، وهذه المقاطع هي:

(١٠) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢١٠.

(١١) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٤١.

(١٢) دراسة الصوت اللغوي: ٣٠٢.

(١٣) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٠٧.

١. القصير المفتوح (ص ح)، ومثله المقاطع الثلاثة في كلمة (كَتَبَ) ك ـــَـ/ ت ـــَـ/ ب ـــَـ.

٢. المتوسط المفتوح (ص ح ح)، نحو المقطع الثاني من كلمة (تَسِيْرُ) ت ـــَـ/ س ـــِـ/ ر ـــُـ.

٣. المتوسط المقفل (ص ح ص)، نحو مقطعي كلمة (يَوْمٌ) ي ـــَـ و/ م ـــُـ ن.

٤. الطويل المقفل (ص ح ح ص)، ومثله المقطع الأخير من كلمة (مَرْفُوْع) في حالة الوقف م ـــَـ ر/ ف ـــُـ ـــُـ ع.

٥. الطويل المزدوج الإقفال (ص ح ص ص)، مثل مقطع كلمة (رُمْح) عند الوقف ر ـــُـ م ح.

ولأنَّ الكتابةَ المقطعيةَ تُشبِهُ إلى حدٍ كبيرٍ ما يُعرفُ بالكتابةِ العَروضيةِ؛ لذلكَ فسيتبعُ البحثُ ما يُنطَقُ بشكلٍ سليمٍ، مع مراعاة أحكام التلاوة، وعلامات الوقف والوصل والابتداء.

أثرُ التَّوازي المَقطَعِي في الاتِّساقِ الصوتي:

عُرِفَ التوازي قديماً في كتب البلاغة العربية قسماً من أقسام السجْعِ[١٤]، ومن ذلك قول النويري (ت٧٣٣هـ) في معرض تقسيمه للسجع: ((... أما المتوازي -فهو أن يُراعى في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الأخير منهما، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [سورة الغاشية: ١٣-١٤]...))[١٥].

ويسمي الجاحظُ هذا النوع من السجْع (المزدوج)[١٦]، وقد تابعه أبو هلال العسكري في هذه التسمية، غيرَ أنَّ هذا الأخير لم يقصره على النهايات المسجوعة، بل وسَّع من مفهومه ليعمَّ ألفاظَ الآياتِ الأخرَ، فيقول: ((لا يحسنُ منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجدُ لبليغٍ كلاماً يخلو من الازدواج، ولو استغنى

(١٤) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ): ٦٢٢، والفاصلة في القرآن، د. محمد الحسناوي: ١٤٨-١٥٠.

(١٥) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري: ٧/ ٨٨.

(١٦) ينظر: البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ): ٢/ ١١٦.

كلام عن الازدواج لكان القرآن؛ لأنَّه في نظمه خارج من كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلاً عمَّا تزاوج في الفواصل منه))[١٧] [١٨].

بيدَ أنَّ مفهوم التوازي قد شهد تطوراً في العصر الحديث، وأخذ يشمل عدة مستويات منها: الصوتية، والتركيبية، والمعجمية، والدلالية. واجتماع هذه المستويات في عنصر واحد ممَّا يضمن انسجام الرسالة[١٩]. وقد عُرِّفَ بأنَّه ((عبارة عن تماثل، أو تعادل المباني، أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات، أو العبارات القائمة على الازدواج الفني، وترتبط بعضها ببعض وتسمى حينئذ بالمتطابقة، أو المتعادلة، أو المتوازية سواء في الشعر، أو النثر، خاصة المعروف بالنثر المقفى، أو النثر الفني))[٢٠]، أو ((هو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفقرات، أو الجمل الأول مساوية، أو معادلة لكل لفظة من ألفاظ الفقرات، أو الجمل التالية لها في الوزن، والترتيب، وغالباً الفاصلة، أي أن يكون منسجماً صوتياً، ووزنياً، وفاصلياً، مع الحفاظ على روح المعنى))[٢١].

وسينظر البحثُ إلى الإيقاع الصوتي في الآيات على أساس توازي مقاطع ألفاظها، وما يمكن أنْ يتركه من أثر في استحسان النصوص والتلذذ في سماعها، وليس على أساس أوزانها الصرفية[٢٢]، فكلُّ مقطع صوتي يتكون بفعل خفقة صدرية واحدة من خفقات نفَسِ المقرِئ،

(١٧) كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ): ٢٦٠.

(١٨) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة، دراسة في الشكل والمضمون، د. عباس علي حسين الفحَّام: ٢٧٢.

(١٩) ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح: ٢٥.

(٢٠) البديع والتوازي، د. عبد الواحد حسن الشيخ: ٧ – ٨.

(٢١) الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة، ظافر عبيس الجياشي، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٤م: ١٧٩.

(٢٢) يُنظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبد الصبور شاهين: ٤٩.

وتوالي هذه الخفقات هو ما يعرف باسم الإيقاع في الكلام[٢٣]، وإذا عرفنا ذلك فإنَّ الأذن تستهوي الإيقاع المنتظم، فكيف بها حين تسمع إيقاعين أو أكثر، منتظمين متوازيين معاً؟. إذ إنَّ من شأن التوازي أن يشيع ((جوَّاً من التوحد السمعي بين جمل النص عند القارئ، من خلال تكرار نفس المقاطع الصوتية بإيقاع منتظم على مسافات ثابتة. ويجعل هذا الانتظام الإيقاعي جمل النصِّ تبدو للوهلة الأولى مترابطة، فيؤدي هذا إلى قبولها مبدئياً من القارئ))[٢٤].

وإذا كان كل توازٍ يخلقُ علاقة تكافؤ بين عنصرين أو أكثر من الأبنية المتوازية[٢٥] فإنَّ علاقة عناصر النصِّ ببعضها كفيلة باتساقه، وإذا كان ترتيبُ مقاطع كلمات جملة معينة في النصِّ يوازي ترتيب مقاطع جملة أو جمل أخرَ في النص نفسه، فمِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ لذلك أثراً كبيراً في وحدة الإيقاع، واتساق مكونات الخطاب.

فالتوازي المقطعي إذن عنصرٌ من العناصر التي تسهم في استمرارية النصوص، وتحقيق اتساقها، ويُعدُّ أداة نصيَّة تقسِّمُ النصَّ إلى فقرات وتربط بينها[٢٦]، وبخاصة إذا كانت هذه الفقرات قصيرة وموحدة الفواصل، وهذا ما سنلحظُه في قابل السطور.

وقد حفلت السور المدروسة بهذا النوع من الاتساق الصوتي، فأغلبها سور مكيَّة تعنى بأصول العقيدة الكبرى، وإثبات وحدانية الله وحقيقة الآخرة[٢٧]، مِمَّا يجعل إيقاعها يجري في أغلبها ((قصير الموجة، سريع

(٢٣) يُنظر: البيان في روائع القرآن، د. تمَّام حسان: ١/ ١٨٣.

(٢٤) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج: ٨١.

(٢٥) ينظر: التوازي وأثره الإيقاعي والدلالي دراسة تطبيقية في ديوان (فوضى في غير أوانها) لحميد سعيد، د. محمد جواد حبيب البدراني، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد ٥٣، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ١٩٢.

(٢٦) يُنظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل: ١٣١.

(٢٧) يُنظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): ١/ ١٨.

النبض متدفق الحركة، متوازناً أو شبه متوازن...))[٢٨]؛ لأنَّه أكثرُ ملاءَمة لهذه البنى النصية.

أوَّلاً: التَّوازي المَقْطَعِي الشَّرطي:

أسلوب الشرط من الأساليب التي تسترعي انتباه المتلقي وتُشوِّقُه لترقُّبِ ما بعدَهُ، ويكثرُ هذا التشوقُ إذا تكررت الجملُ الشرطيةُ، أو عطفتْ على بعضِها، فتكرارُها يزيدُ السامعَ تلهُفَاً لسماعِ الجواب[٢٩]، ولكنَّ توازي مقاطع هذه الجمل نوعاً، وعدداً، وترتيباً، فضلاً عن توازي ألفاظها تركيبياً، مما يزيدها رونقاً وانسجاماً صوتياً، ويسهم في تلقي معناها بسلاسة ويسر، وهذا ما لوحظ في بعض آيات السور الكريمة مادة الدراسة، التي تتَّصف بالقصر والموازاة، فتلاوة كلِّ آية من هذه الآيات بالمدة الزمنية نفسِها التي تستغرقها تلاوة الآية الأخرى، وبالتدرج الصوتي نفسه بين قمم المقاطع وقواعدها، يكسو الآياتِ حلَّةً اتساقيةً صوتيةً تجعلُ المتلقيَ يدورُ في حيِّزِ النَّصِّ، ويعقدُ روابطَ بين جمله.

ومن ذلك قول الباري عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [سورة المرسلات: ٨ -١٠]، فمقاطع هذه الآيات على الترتيب هي:

ف ـــَ/ ء ـــِ/ ذ ـــَ ن/ ن ـــُ/

ج ـــُ ـــْ/ م ـــُ/ ط ـــُ/ م ـــِ/

س ـــَ ت.

و ـــَ/ ء ـــِ/ ذ ـــَ س/ س

ـــَ/ م ـــَ ـــَ/ ء ـــُ/ ف ـــُ/ ر

ـــِ/ ج ـــَ ت.

و ـــَ/ ء ـــِ/ ذ ـــَ ل/ ج ـــِ/

ب ـــَ ـــَ/ ل ـــُ/ ن ـــُ/ س ـــِ/

ف ـــَ ت.

ص ح/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح/

ص ح ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح/ ص

ح ص.

في هذا النصِّ الكريم أداتان صوتيتان

(٢٨) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، د. كاصد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد٩، ١، أيلول ١٩٧٨م: ٣٦٤.

(٢٩) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المسمى (التحرير والتنوير من التفسير)، محمد الطاهر ابن عاشور: ٣٠/ ١٤٠.

ساهمتا في اتساقه: توازي مقاطعه، ووحدة فواصله، فالملاحظ على آياته أنَّ مقاطع كلٍ منها توازي مقاطع الآيتين الأخريين، وهو ما يجعل مرتَّلَها ينطق بكل آية في مدَّة زمنية مساوية لمدَّة نطق الآية الأخرى، ويجعلها تتوازن توازناً إيقاعياً يظلُّ صداهُ يتردَّدُ في أذن السامع، ويمنحه متعة وارتياحاً، إذ إنَّ ((ما في القرآن من جمال التوازن قد يجاوز أحياناً جمال الوزن))[٣٠]. ومما زادَ هذا الإيقاع قوة هو النهايات المتماثلة للآيات؛ لأنَّ إيقاعَ الجمل المتوازية يقوى ((بما يوجد من سجْع بين أواخر التراكيب المتشابهة))[٣١].

ولمَّا كانت المقاطعُ المفتوحةُ تناسب لوناً من التعبير لا تؤدِّيه المقاطعُ المقفلة، والعكس صحيح؛ فالمفتوحة تستغرقُ في نطقِها زمناً أكثر من الزمن الذي تستغرقُه المقاطعُ المقفلة[٣٢]، ولأنَّ الغلبةَ في النص الكريم لها، إذ بلغت نسبتها ٧٧، ٧٪، في حين لم ترد المقاطع المقفلة إلَّا بواقع مقطعين في كلِّ آية، من النوع (ص ح ص) المتوسط المقفل، ففي ذلك ملاءمةٌ لمعنى النص الذي يصف أموراً مروِّعة تقع في يوم القيامة[٣٣]؛ لأنَّها تختم بمصوتات يجري معها النفس طليقاً دون عارض، مما أضفى عليها قدرة في قوة الإسماع[٣٤]، وذلك ما يفسح المجال أمام السامع ليسرح بخياله، ويتفكَّر بأهوال يوم البعث، فضلاً عن ذلك فإنَّ في تكرار (إذا) الشرطية إفادةَ العناية بمضمون كلِّ آية من هذه الآيات ليكون علامة مستقلة للبعث[٣٥].

ومن أمثلة هذا النوع من التوازي أيضاً قولُه تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ

(٣٠) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١/ ١٨٧.
(٣١) نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٠١.
(٣٢) ينظر: دراسات قرآنية في جزء عمَّ، د. محمود أحمد نحلة: ١٠٩.
(٣٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ): ٦/ ٢٨٧، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٢٣ -٤٢٤.
(٣٤) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمَّام حسَّان: ٧١.
(٣٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٢٤.

﴿زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [سورة الزلزلة: ١ -٢]. فهاتان جملتان شرطيَّتان، سُبقت الأولى منهما بأداة الشرط (إذا)، ورُبطتِ الثانيةُ بالأولى بحرف العطف، فضمَّنَها معنى الشرط الذي في الأولى، وقد توازت الجملتان مع بعضهما مقطعياً، والمخطط والكتابة المقطعية الآتيان يُبيِّنان ذلك.

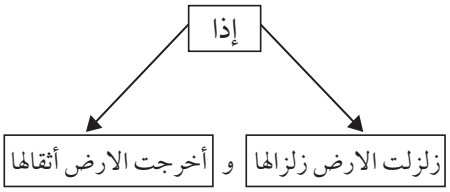

إذا (ز ـــُ ل/ ز ـــِ/ ل ـــَ/ ت ـــِ ل/ ء ـــَ ر/ ض ـــُ/ ز ـــِ ل/ ز ـــَ ـــَ/ ل ـــَ/ ه ـــَ ـــَ).

و (ء ـــَ خ/ ر ـــَ/ ج ـــَ/ ت ـــِ ل/ ء ـــَ ر/ ض ـــُ/ ء ـــَ ث/ ق ـــَ ـــَ/ ل ـــَ/ ه ـــَ ـــَ).

ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح ح.

وبهذا التجانُسِ المقطعي، مع وحدة الفاصلة التي امتدت في الآيات اللاحقة أيضاً، اكتسب النصُّ اتساقَه الصوتي الذي تضافر مع أدوات نحوية ومعجمية لها الأثر الواضح في وحدة النصِّ وتضام آياته.

فضلاً عن هذا فإنَّ في مدِّ روي فواصل الآيتين، وكثرة المقاطع المفتوحة فيهما، بواقع ستة مقاطع من أصل عشرة في كلِّ آية، مناسبةً للمشهدِ العام الذي تصفه السورة (وصفُ الأهوال التي تحدث قُبَيلَ وأثناء يوم الحساب)[٣٦]؛ لأن جريانَ النفس عند النطق بنهاية هذه المقاطع مدعاةٌ لإعمال الفكر والتبصُّرِ في هذه المشاهد.

ومن الآيات التي اتسقت صوتياً في السور المدروسة، بفعل توازي مقاطع ألفاظها قوله جل جلاله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة العاديات: ٩ -١٠].

فعطفتْ جملة (حصِّل ما في الصدور) على جملة (بُعثر ما في القبور)، وهما جملتان شرطيتان متوازيتان مقطعياً، كما

(٣٦) ينظر: الكشَّاف: ٦/ ٤١٣، ومشاهد القيامة في القرآن، سيِّد قطب: ٢٤٢-٢٤٣.

هو واضح في الكتابة المقطعية الآتية.

أفلا يعلمُ إذا (ب ـــُ ع/ ث ـــِ/ ر ـــَ/ م ـــَ ـــَ/ ف ـــِ ل/ ق ـــُ/ ب ـــُ ـــُ ر).

و (ح ـــُ ص/ ص ـــِ/ ل ـــَ/ م ـــَ ـــَ/ ف ـــِ ص/ ص ـــُ/ د ـــُ ـــُ ر).

ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص.

ولهذا التوازي الصوتي الذي وحَّد إيقاع الجملتين أثرٌ بيِّنٌ في سبكهما، ينصُرُه ما فيهما من التماثل الفاصلي، والربط بأداة العطف التي أشركت الآيتين في معنى الشرط.

والمعنى العام للنص هو الوعيد والتذكير ببعثرة القبور، والبعث والنشور، وإعلان ما أخفته الصدور[٣٧]، فهذه صورة واضحة من صور يوم القيامة، تترك أثراً في نفس السامع وكأنَّه يراها ماثلة أمامه، ولا تُخفى أهمية التماثل المقطعي، ووحدة الفاصلة، في بيان معالم هذه الصورة؛ لما يحدثانه من الموسيقى المصاحبة للمعنى التي تلقي مثل هذا الأثر في الحسِّ، وتجعل المشهد يمتدُّ بامتدادها، ففي السورة -وبضمنها الآيتين -مناسبةٌ بين المشهد الرهيب الذي يستدعي التأمل وبين غلبة المقاطع المفتوحة، وتناسقٌ ملحوظٌ بين الصورة والجرس[٣٨].

ثانياً: التَّوازي المقْطَعِي القَسَمِي:

القسمُ جملة فعلية أو أسمية، يؤتى بها لتأكيد جملة أخرى تسمى جواب القسم، وجملة القسم وجوابه تتنزلان منزلة الجملة الواحدة، كجملتي الشرط والجزاء[٣٩]. وقد كثر وروده في القرآن الكريم، حتى أضحى ((سمة أسلوبية ظاهرة وفريدة لم تعرفها العربية من قبل فقد أقسم القرآن بالحيوان والظواهر الطبيعية المختلفة))[٤٠].

(٣٧) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): ١٠/ ٢٣٨، ومشاهد القيامة في القرآن: ٧٢.

(٣٨) ينظر: مشاهد القيامة في القرآن: ٧٣.

(٣٩) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ): ٥/ ٢٤٤.

(٤٠) الأثر القرآني في نهج البلاغة: ١٢٧.

وغالباً ما يكون القسم القرآني صدر سورة أو استئناف كلام جديد، وذلك يُوجِّهُ السامعَ إلى الإصغاء والتَّرقب؛ لأنه يوحي بعظمة الأمر المذكور بعده(٤١).

وقد يقع بين جملتي القسم وجوابه جملٌ أخرى، يتكرر فيها القسم، فيظل في نفس المتلقي عند سماعها تلهفٌ لسماع جوابها؛ ذلك أن إطالة القسم تشويق إلى المقسم عليه(٤٢)، فإذا سمعه تحقق الاتساق والربط بينه وبين جمل القسم السابقة، وكثُر ما شُحِذ هذا الاتساقُ وقُوِّى بما يقعُ بين مقاطع جمل القسم من توازٍ يوحد إيقاعها، ويؤطرها بإطار النص الواحد.

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ [سورة النازعات: ١ –٤]. في هذه الآيات الكريمة أقسم الله جل جلاله –في أحد وجوه – بصفات الملائكة، والمقسم عليه محذوف تقديره (لتبعثُنَّ)؛ لدلالة ما بعده من ذكر القيامة عليه(٤٣)، وقد سُبِكَ النصُّ بما بين القسم وما يُنبئُ عن جوابه من علاقة رابطة، فضلاً عن أداوات العطف والجناس ووحدة الفاصلة.

فضلاً عن ذلك فإنَّه قد تآزرت مع هذه الأدوات على اتِّساقِ النصِّ أداةٌ أخرى هي توازيَ مقاطع الآيات، فإذا ما أمعن متمعِّنٌ النظر في الآيات الكريمة السابقة فسيجد مقاطعها متوازية كما في الكتابة المقطعية الآتية:

و ـــَ ن/ ن ـــَ ـــَ/ ز ـــِ/

ع ـــَ ـــَ/ ت ـــِ/ غ ـــَ ر/ ق ـــَ ـــَ.

و ـــَ ن/ ن ـــَ ـــَ/ ش ـــِ/

(٤١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٢٠، وصيغة نفي القسم في القرآن الكريم دراسة تحليليَّة دلاليَّة نحويَّة، سمية محمد عناية حاج نايف، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية –ابن رشد، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م: ٢٨.

(٤٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٢٠.

(٤٣) ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ): ٣/ ٢٣٠ –٢٣١، والكشاف: ٦/ ٣٠٤، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٦.

ط ـــَـ ـــَـ/ ت ـــِـ/ ن ـــَـ ش/
ط ـــَـ ـــَـ.

و ـــَـ س/ س ـــَـ ـــَـ/ ب ـــِـ/
ح ـــَـ ـــَـ/ ت ـــِـ/ س ـــَـ ب/ ح
ـــَـ ـــَـ.

ف ـــَـ س/ س ـــَـ ـــَـ/ ب ـــِـ/
ق ـــَـ ـــَـ/ ت ـــِـ/ س ـــَـ ب/ ق
ـــَـ ـــَـ.

ص ح ص/ ص ح ح/ ص ح/ ص
ح ح/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح ح.

إنَّ قصرَ هذه الآيات، وغموض المقسم به فيها، وجرس ألفاظها، تمهيدٌ يشعر القلب بحقيقة الآخرة الهائلة، فالقرآن يسوق النصَّ في إيقاع موسيقي راجف لاهث، كأنما تنقطَّع به الأنفاس من الذُّعر والارتجاف والانبهار، وفي هذا لمسات إيقاعية تمتُّ بصلة إلى أهوال القيامة[٤٤].

ومن آيات القسم التي توازت مقاطعها في السور الكريمة موضع الدراسة قول العزيز عز وجل: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾ [سورة الذاريات: ١ -٣]، إذ أقسم الله سبحانه وتعالى بصفات مخلوقاته، التي هي -على خلاف -الرياح، والسحاب، والسفن، على التوالي [٤٥]، وهو في المعنى قسم بقدرته تعالى؛ لأنَّه قسم بعظيم من مخلوقاته، لتأكيد وقوع المقسم عليه، الذي هو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾ [سورة الذاريات: ٥ -٦][٤٦].

ومادامت هذه السلسلة اللغوية مرتبطةً بمركب واحد هو القسم، ويجاب عنها مجتمعة بجواب واحد، فهي تقع في سياق نصٍّ واحد، أسهم توازي مقاطع جمله في اتِّساقه صوتياً؛ لأنَّ التوازي قائم على تنسيق أصوات العبارات أو الجمل، عن طريق توزيع ألفاظها توزيعاً قائماً على الإيقاع المنسجم[٤٧]، والكتابة المقطعية الآتية

(٤٤) ينظر: في ظلال القرآن، سيِّد قطب: مج٦/ ٣٠/ ٣٨١١.

(٤٥) ينظر: معاني القرآن: ٣/ ٨٢، والكشَّاف: ٥/ ٦٠٨.

(٤٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦/ ٣٣٦-٣٣٩.

(٤٧) ينظر: البديع والتوازي: ٢٤.

تبينُ ما بينَ مقاطع الآيات الكريمة من توازٍ:

و ـــَ ذ/ ذ ـــَ ـــَ/ ر ـــِ/ ي ـــَ ـــَ/ ت ـــِ/ ذ ـــَ ر/ و ـــَ ـــَ.

ف ـــَ ل/ ح ـــَ ـــَ/ م ـــِ/ ل ـــَ ـــَ/ ت ـــِ/ و ـــِ ق/ ر ـــَ ـــَ.

ف ـــَ ل/ ج ـــَ ـــَ/ ر ـــِ/ ي ـــَ ـــَ/ ت ـــِ/ ي ـــُ س/ ر ـــَ ـــَ.

ص ح ص/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح ح.

إنَّ كثرة المقاطع المفتوحة في هذه الآيات، وكما هو الحال في آيات المثال السابق، بنسبة ٧١٪، ولاسيَّما المنتهية منها بمصوتين، وما يصاحب نطقها من قوة الإسماع وإطالة النفس يناسبُ أداء هذه الآيات، فمدلولات الألفاظ المقسم بها ليست متعارفة، وبها حاجة إلى السؤال والاستفسار وإطالة الوقوف[٤٨]، وهذه الإطالة تظهر في صوت المؤدي أيضاً عند نطق نهايات هذه المقاطع. وقد زاد توازي مقاطع الآيات من ملاءمتها للمعنى؛ لأنَّ التوازي يُعدُّ وسيلة من وسائل تأدية المعنى بصورة غير مباشرة عن طريق الإيحاء[٤٩].

وعلى شاكلة هذا النوعِ من التوازي مثالٌ آخر هو قولُه تعالى: ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [سورة الطور: ٤ -٦]، وهو قسمٌ ببيت في السماء بحيال الكعبةِ، ثمَّ بالسماء، فالبحرِ المملوء بالنار[٥٠]، ولا يهمُّنا إن كانت الواوات التي صُدِّرت بها هذه الآيات كلُّها للقسم[٥١]، أو أنَّها أدواتٌ تَعْطفُ ما بعدَها على القسم السابق[٥٢] في قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ [سورة الطور: ١]، فالمعطوف على

(٤٨) ينظر: في ظلال القرآن: مج٦/ ٢٧/ ٣٣٧٣، ٣٨١١.

(٤٩) ينظر: البديع والتوازي: ٢٦.

(٥٠) يُنظر: معاني القرآن: ٣/ ٩١، ومجمع البيان: ٩/ ١٤٧، والميزان في تفسير القرآن، العلَّامة السَّيد محمد حسين الطباطبائي: ١٩/ ٦ -٧.

(٥١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ٤٠.

(٥٢) يُنظر: مجمع البيان: ٩/ ١٤٦، والتحرير والتنوير: ٢٧/ ٤٠.

القسم قسمٌ[٥٣]، وجواب المعطوف والمعطوف عليه واحد، لذلك فالآيات تقع في سياق نصي واحد محوره القسم.

وإذا كان كذلك فعلى الباحث أن يؤكِّدَ توازي مقاطع هذه الآيات في كتابة مقطعية؛ ليحقَّ له التمثيل بهذا المثال هنا، وهي كالآتي.

و ـــَـ ل/ ب ـــَـ ي/ ت ـــِـ ل/ م ـــَـ ع/ م ـــُـ ـــُـ ر.

و ـــَـ س/ س ـــَـ ق/ ف ـــِـ ل/ م ـــَـ ر/ ف ـــُـ ـــُـ ع.

و ـــَـ ل/ ب ـــَـ ح/ ر ـــِـ ل/ م ـــَـ س/ ج ـــُـ ـــُـ ر.

ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح ح ص.

يُلحظُ في هذا التحليل توازي مقاطع الآيات، وهيمنةُ المقفلة منها على النص بنسبة ١٠٠٪، وهذا النوع من المقاطع يلائم مواقف الحزم والجدّ والقوة أكثر من المقاطع المفتوحة[٥٤]، وقد تبيَّنَ للباحث أنَّ في هذه السورة عامة ما لا يخفى من هذه المواقف، فهي ((حملة عميقة التأثير في القلب البشري... يشترك فيها اللفظ والعبارة، والمعنى والمدلول، والصور والظلال، والإيقاعات الموسيقية لمقاطع السورة وفواصلها على السواء. ومن بدء السورة إلى ختامها تتوالى آياتها كما لو كانت قذائف، وإيقاعاتها كما لو كانت صواعق، وصورها وظلالها كما لو كانت سياطاً لاذعة للحس لا تمهله لحظة واحدة من البدء إلى الختام))[٥٥]، يُضاف إلى ذلك أنَّ آيات القسم قد أُجيْبَتْ وأُكِّدتْ بآيةٍ كانت سبباً في دخول بعضِهم الإسلام عند سماعها خوفاً من نزول العذاب[٥٦]؛ لجزمها بحتمية وقوعه، وأنه حقٌّ لا محيص عنه[٥٧]، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ [سورة الطور: ٧].

وإنَّ في انطباق عضوي إنتاج الصوامت أو اقترابها في نهايات هذه

(٥٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ٤٠.
(٥٤) ينظر: دراسات قرآنية في جزء عمَّ: ١١٣.
(٥٥) في ظلال القرآن: مج٦/ ٢٧/ ٣٣٩١.
(٥٦) ينظر: الكشاف: ٥/ ٦٢٤.
(٥٧) ينظر: مجمع البيان: ٩/ ١٤٧، والميزان: ١٩/ ٧.

المقاطع اعتراضاً لمجرى الهواء[٥٨]، وقصراً في النفس، يُسفرُ عن سرعةٍ في النُّطقِ، وفي ذلك إيحاءٌ بأنَّ عذاب المشركين مُسْرِعٌ إليهم، وأنَّه مُتَحقِّقٌ لا محالةَ، يُسانِدُه ما حصلَ بين المقاطع من توازٍ أحكم النص، وساوى بينَ الفقراتِ، ونَظَّمَ الإيقاعَ على وتيرة واحدة.

ولهذا النوع من التوازي أمثلة أخر لم يتسعْ البحث لذكرها[٥٩].

من كلِّ ما سبق يتبيَّن أنَّ لتوازي مقاطع جمل القسم -والحال يصدق في الشرط أيضاً -أثراً في سبك النصوص وائتلاف عناصرها، يُشفعُ بما بين هذه الجمل من وحدة الموضوع، وما بينها كلها وبين جملة الجواب من علاقة رابطة.

ثالثاً: التَّوازي المَقْطَعِي المُتضادُّ:

من وجوه تحسين الكلام المعنوية أن يجمعَ النَّصُّ بين معنيين متضادَّين، ويسمى هذا الوجه بالطباق أو المطابقة أو التضاد[٦٠]، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ...﴾ [سورة الكهف: ١٨].

وإن جاوزت المتضادَّات ضدَّين سمِّي الفنُّ البديعي (مقابلة)، وتعريفها عند البلاغيين هو ((أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثمَّ بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل. وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به. مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [سورة التوبة: ٨٢]))[٦١]. فالمقابلة إذن أوسع من الطباق؛ لأنَّ المتقابلات فيها أكثر.

ولهذا اللون البديعي أثر جمالي؛

(٥٨) يُنظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: ٢٧.
(٥٩) [سورة الصافات: ٢ -٣]، و[سورة المرسلات: ١، ٥، و ٢ -٤]، و[سورة العاديات: ١ -٢].

(٦٠) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت٧٣٩هـ): ٢٥٥، والبلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني: ٢/ ٣٧٧.
(٦١) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٥٩، وينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي: ٣٠٤.

لما ((فيه من التلاؤم بينه وبين تداعي الأفكار في الأذهان، باعتبار أنَّ المتقابلات أقرب تخاطراً إلى الأذهان من المتشابهات والمتخالفات))[٦٢].

وقد عدَّ كثيرٌ من علماء النص هذا المحسن البديعي مظهراً من المظاهر المعجمية التي تسهم في اتساق النصوص[٦٣].

فضلاً عن ذلك فإنَّ تقابُلَ المعاني بهذه الطريقةِ هو الذي ينظِّمُ بالأساس توازيَ السلاسل اللفظية صوتياً، أوتركيبياً، أو معجمياً، ويكسبُ النصَّ انسجاماً واضحاً[٦٤]، فالتقابل قائمٌ على المحاذاة والتوازي بين جانبين يشتمل كل منهما على معنيين أو أكثر[٦٥].

وقد وجد الباحث في السور مقصد البحث أمثلةً من الجمل التي عمل تضادُّ معانيها، وتوازي مقاطعها على وسقها صوتياً ومعجمياً؛ لأنَّ الموازاة تقدم طاقة وظيفية تجعل المتلقي يشعر بتماسك النصِّ ورتابة إيقاعه، يضاف إلى ذلك ما يقدمه التضاد من رفدٍ دلالي لتلك الموازاة[٦٦].

ومن الطباق قولُه تعالى: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ [سورة الواقعة: ٨ –٩].

في هاتين الآيتين من سورة الواقعة لفٌّ لحالين متضادَّين من أحوال الأزواج الثلاثة التي نُشِرَتْ في الآيات اللاحقة، هما: اليمن، والشُّؤم، وإذا كان اليمين للتفاؤل، وهو جهة عناية وكرامة وبركة، وأهله في منزلة سنيَّة؛ فالشؤمُ لازمة من لوازم الشمال، وهو الضُّرُّ

(٦٢) البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها: ٢/ ٣٧٨.

(٦٣) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي: ١٣٠، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي: ٢/ ١٤٧، ولسانيات النص النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني أنموذجاً، ليندة قيَّاس: ١٣٤.

(٦٤) ينظر: قضايا الشعرية، رومان ياكبسون: ١٠٦ –١٠٨.

(٦٥) ينظر: الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د. إبتسام أحمد حمدان: ٢٩٣.

(٦٦) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٥٣ –١٥٧، ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١٢.

وعدم النفع، وأصحابه في منزلة دنيّة، ومعلومٌ ما بين المعنيين من تضاد؛ لأنَّ العربَ يتيمَّنُون بالميامن، ويتشاءمون ويتطيرون بالشمائل[٦٧]، وهذا طباق يسهم في وسق النصِّ معجمياً، بيد أنَّ توازي مقاطع ألفاظ الآيتين زادَ من بناء النص وتَضَافرَ مع التَّضادِّ على سبكه. ويمكن ملاحظة هذا التوازي في التحليل المقطعي الآتي:

ف ـــَ/ ء ـــَ ص/ ح ـــَ ـــَ/

ب ـــُ ل/ م ـــَ ي/ م ـــَ/ ن ـــَ/ ت

ـــِ/ م ـــَ ـــَ/ ء ـــَ ص/ ح ـــَ ـــَ/

ب ـــُ ل/ م ـــَ ي/ م ـــَ/ ن ـــَ هـ.

و ـــَ/ ء ـــَ ص/ ح ـــَ ـــَ/ ب

ـــُ ل/ م ـــَ ش/ ء ـــَ/ م ـــَ/ ت

ـــِ/ م ـــَ ـــَ/ ء ـــَ ص/ ح ـــَ ـــَ/

ب ـــُ ل/ م ـــَ ش/ ء ـــَ/ م ـــَ هـ.

ص ح/ ص ح ص/ ص ح ح/ ص

ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص

ح/ ص ح ح/ ص ح ص/ ص ح ح/ ص

ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص.

(٦٧) ينظر: الكشاف: ٦/ ٢١ -٢٢، والتحرير والتنوير: ٢٨٥ -٢٨٦.

ومن المقابلة قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [سورة الانفطار: ١٣ -١٤].

فوراء ما نلمسُهُ من تساوٍ بين الفِقْرتين، وتماثلٍ تركيبيٍّ ترتيبيٍّ بين الألفاظ، توازٍ مقطعيٌّ يمكنُ بيانُه في التحليل آتي الذكر:

(ء ـــِ ن/ ن ـــَ ل/ ء ـــَ ب/

ر ـــَ ـــَ/ ر ـــَ/ ل ـــَ/ ف ـــِ

ـــِ/ ن ـــَ/ ع ـــِ ـــِ م).

و (ء ـــِ ن/ ن ـــَ ل/ ف ـــُ ج/

ج ـــَ ـــَ/ ر ـــَ/ ل ـــَ/ ف ـــِ

ـــِ/ ج ـــَ/ ح ـــِ ـــِ م).

ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح

ص/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح/ ص

ح ح/ ص ح/ ص ح ح ص.

وهذا الاتساق الصوتي الذي حصل بتوازي مقاطع الألفاظ، ووحدة الفاصلة، يزدادُ بالتقابلِ الذي اكتنفَ معانيَ ألفاظ الآيتين على النحو الآتي:

الأبرار ⟷ الفجار

نعيم ⟷ جحيم

فجَعَلَ الألفاظَ ترتبطُ وتتلاحمُ

فيما بيْنَها، وتركَ المعانيَ تستدعي بعضها بعضاً[٦٨]؛ لأنَّ المتقابلات يبيِّن بعضُها بعضاً، والذهن يستحضر الضد عند سماع المضاد[٦٩].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [سورة الليل: ٥ – ١٠].

فمِن دون أن يُجهدَ المتلقي فكرَهُ يجدُ أنَّ معانيَ الآياتِ الثلاث الأول تقابلُ معاني الأخر على التوالي[٧٠]، وقد أسهمت مع هذا التقابل أدواتٌ عدَّة في تماسك النصِّ، يضاف إلى ذلك ما لتوازي بعض الألفاظ المتقابلة مقطعياً من أثر بارز وفعَّال في اتساق الآيات وربطها ببعضها، فالآية السادسة تقابلُ التاسعة معنوياً وتوازيها مقطعياً، وكذلك الأمر في الآيتين السابعة والعاشرة، ويمكننا بيان ذلك بتحليل مقطعي ورسم تخطيطي على النحو الآتي:

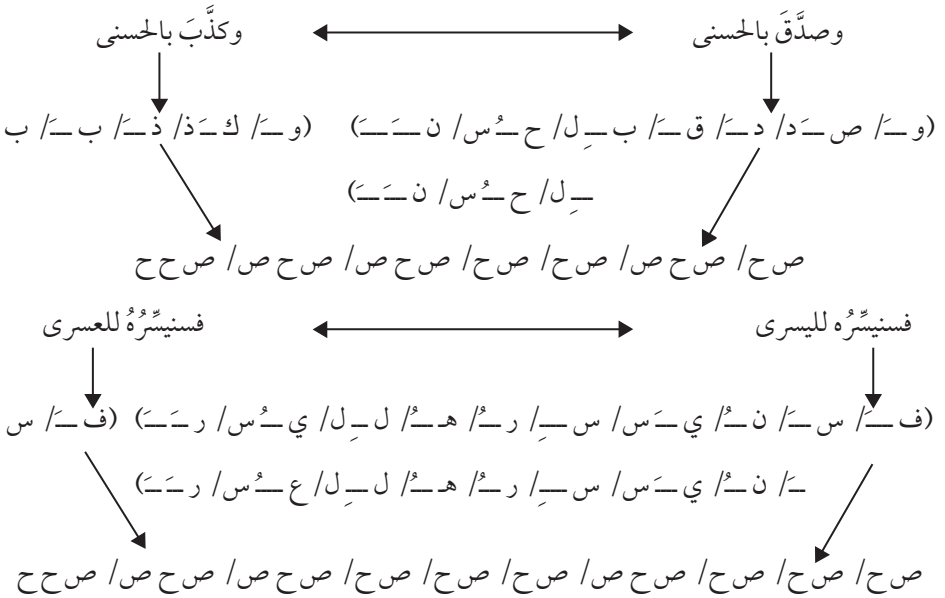

(٦٨) يُنظر: في البلاغة العربية، علم البديع، د. محمود أحمد حسن المراغي: ٧١ – ٧٢.

(٦٩) ينظر: دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت: ٥٠.

(٧٠) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٦٠، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٨٧، و الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٢٠/ ١٩٩–٢٠٠.

وفي السور محلِّ الدراسة أمثلة أخر من الآيات التي توازت مقاطع ألفاظها يمكن للبحث أن يحيل إليها [٧١].

الخاتمة

وصفوة القول في خاتمة هذا البحث إنَّ توازي ألفاظ الآيات في عدد المقاطع وأنواعها وترتيبها لم يأت بطريقة عفويَّة، بل وظِّفَ بطريقةٍ فنيَّةٍ بارعةٍ مقصودةٍ، إذ إنَّ المعاني الكلِّية لنصوص السور الكريمة المدروسة تستدعي أن تكونَ آياتُها قصيرة الفقر، متوازية المقاطع، يجري إيقاعُها على نمط واحد، وفي ذلك ملاءَمةٌ بين الدَّوال والمدلولات؛ لأنَّ أغلبها سور مكيَّة تعنى بإثبات وحدانية الله، وحقيقة الآخرة، والحشر والثواب والعقاب، وهذه معانٍ بها حاجةٌ إلى الإيجاز المكثَّفِ الفكرة، وتوازي المقاطع ممَّا يزداد به هذا الإيجاز حسناً ورونقاً، فنتج عن ذلك تكثيفٌ صوتي أغنى الإيقاع ووحده، وأبرز جماليته، ونظَّم النغم، وأسهم في الاتساق النصي الموسيقي للنصوص، وأضفى عليها رتابة إيقاعية، وهذا ما يكون باعثاً لخلق إحساسٍ جميلٍ بالانسجام مع النصِّ القرآني[٧٢].

مظانُّ البحث:

القرآن الكريم.

- أبحاث في أصوات العربية، د. حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٨م
- الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- الأثر القرآني في نهج البلاغة، دراسة في الشكل والمضمون، د. عباس علي حسين الفحَّام، العتبة العلوية المقدَّسة، النجف الأشرف-

(٧١) ينظر: [سورة الصافات: ١١٧ -١١٨]، و[سورة الطور: ٩ -١٠]، و[سورة الواقعة: ٢٧، ٤١، و ٥٩، ٦٤]، و[سورة القيامة: ٢٠ -٢١]، و[سورة الانشقاق: ١١ -١٢]، و[سورة الزلزلة: ٧ -٨].

(٧٢) ينظر: النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة (رسالة ماجستير): ٩٢.

العراق، ٢٠١١م.
- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د. إبتسام أحمد حمدان، دار القلم العربي، حلب – سورية، ط١، ١٤١٨هـ –١٩٩٧م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
- الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة، ظافر عبيس الجياشي، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٤م.
- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.
- البديع والتوازي، د. عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٩م.
- البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، عبد الرحمن حسن حبنّكه الميداني، دار القلم –دمشق، الدار الشامية –بيروت، ط١، ١٤١٦هـ –١٩٩٦م.
- البيان في روائع القرآن، د. تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.
- البيان والتّبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المسمى (التحرير والتنوير من التفسير)، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د، ط)، ١٩٨٤م.
- تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية

التناص)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ١٩٩٢م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، القاهرة، ط٧، (د.ت).
- التوازي وأثره الإيقاعي والدلالي دراسة تطبيقية في ديوان (فوضى في غير أوانها) لحميد سعيد، د. محمد جواد حبيب البدراني، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد ٥٣، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، د.كاصد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد٩، ١، أيلول ١٩٧٨م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.
- دراسات قرآنية في جزء عمَّ، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
- دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت، دار خفاجي للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة (د، ط)، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت٦٤٣هـ)، قدَّم له ووضع حواشيه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- صيغة نفي القسم في القرآن الكريم دراسة تحليليَّة دلاليَّة نحويَّة، سمية محمد عناية حاج نايف، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية-ابن رشد، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- العربية وعلم اللغة الحديث، د. محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.
- علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، د. عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، تقديم: د. سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكِّية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- الفاصلة في القرآن، د. محمد الحسناوي، دار عَمَّار للنشر والتوزيع، عَمَّان -الأردن، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- في البلاغة العربية، علم البديع، د. محمود أحمد حسن المراغي، دار العلوم العربية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- في ظلال القرآن، سيِّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ط١، ١٩٨٨م.
- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣١٧هـ-١٩٥٢م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، ود. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام

الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- لسانيات النص النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني أنموذجاً، ليندة قيَّاس، تقديم: د. عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- اللغة، ج. فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصَّاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمَّام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور، الدار العربية، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١١م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد، المجمع العلمي العراقي، (د، ط)، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- مشاهد القيامة في القرآن، سيِّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٤، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، ج٣، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة: الأستاذ علي النجدي ناصف، دار السرور، (د، ط)، (د، ت).
- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د، ط)، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- الميزان في تفسير القرآن، العلَّامة السَّيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.